المدارس المعجمية

مدرسة الخليل

الترتيب الصوتي مع الأبنية والتقليبات

المحاضرة الخامسة ١٩ كانون الثاني ٢٠٢١

مادة (المعجم العربي والأصوات)

كلية التربية ابن رشد / قسم اللغة العربية – المرحلة الثالثة
العام الدراسي ٢٠٢٠-٢٠٢١

أستاذ المادة
أ.د.علي حلو حواس

ذكرنا في محاضرة ماضية أنَّ المعجم هو كتاب يضمُّ أكبر عدد من مفردات اللغة مقرونة بشرحها وتفسير معانيها، على أن تكون المواد مرتبة ترتيبا خاصا، إما على حروف الهجاء (معجمات الألفاظ)،أو الموضوع (معجمات المعاني). والمعجم الكامل هو الذي يضمُّ كل كلمة في اللغة مصحوبة بشرح معناها واشتقاقها وطريقة نطقها وشواهد تبين مواضع استعمالها. فهو إذن كتاب يهتمُّ ببيان معنى كلمات اللغة. ففيه عنصران أساسيان: أولهما الكلمة، وثانيهما المعنى.

أي إنَّ معجمات الألفاظ تُبنى على أساس الكلمة،لذلك فقد سلكت هذه المعجمات طرائق متعددة في ترتيب الألفاظ،وهذه الطرائق تتمثل بالمنهج الذي يتبعه المعجمي في تنظيم الثروة اللفظية وعرضها في المعجم بحيث يستطيع القارئ أو مستعمل المعجم المطلع على تلك المنهجية العثور على بغيته بسرعة،من غير أن يضيع وقتا أو يبذل جهدا كبيرا.وقد سُمّيت هذه المناهج بالمدارس المعجمية،التي صُنّفت بحسب ترتيب المداخل الرئيسة لتلك المعجمات على أربع مدارس.

أولا: مدرسة الخليل (الترتيب الصوتي مع الأبنية والتقليبات)

يُعدُّ كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي رائد المعجمات الأول في العربية،فالخليل أول من ابتكر التأليف المعجمي في التراث العربي،إذ اخترع في ترتيب مواده سبيلا بكرا هداه إليه اشتغاله بالموسيقى،فكان السابق في هذا المضمار دون منازع،وكان الخليل عبقريا،واسع العلم والثقافة،ومبتكر علم العروض،ومخترع علم النحو،ومخترع علم الموسيقى العربية،وقد أعانه فهمه للإيقاع والنغم على ابتكار نظام جديد في ترتيب أصوات العربية،يعتمد على مخارج الأصوات.

ترتيب الخليل الصوتي:

رفض الخليل ترتيب الحروف على أساس الأشباه والنظائر، أو ما يسمى الترتيب الألفبائي الذي وضعه نصر بن عاصم (ت ٩٠هـ)،الذي يبدأ بالمتشابهات الثلاثية ثم المتشابهات الثنائية ثم المفردات. فهو ترتيب لم يعجب الخليل لأنَّه بُني على أساس الشكل من دون مسوّغ علمي،لذا رتَّب الخليل معجمه على الحروف بحسب مخارجها ابتداء من أقصاها وهو الحلق صعودا الى منتهاها وهو الشفة،وهو على النحو الآتي "ع–ح–هـ–خ–غ–ق–ك–ج–ش–ض–ص–س–ز–ط–ت–د–ظ–ذ–ث–ر–ل–ن–ف–ب–م–و–ي–ا–ء".

منهج الخليل في تأليف "كتاب العين":

يقوم منهج الخليل في ترتيب ألفاظ معجمه على ثلاثة أسس هي:

أولا : الترتيب الصوتي: ابتكر الخليل نظاما قائما على الأصوات،فلمَّا كانت اللغة في نظره أصواتا ذات دلالة،وكان الفم من الحلق إلى الشفتين هو الآلة التي تطلق هذه الأصوات،فمن الطريف أن تُرتَّب الأصوات على حسب مواضع خروجها داخل الفم،وأن يكون مُبتدؤها في أقصى الحلق ومنتهاها في الشفتين.

وقد جعل الخليل ترتيب الحروف هذا الأساس الأول في ترتيب ألفاظ معجمه "العين"، فبدأ بأقصى الحروف مخرجا وجعلها بداية وهو حرف (العين)،ولم يبدأ بالهمزة لعدم ثباتها،ولا بالألف لأنَّها لا تكون في ابتداء كلمة ولا في اسم ولا في فعل إلا زائدة أو مُبدلة،ولا بالهاء لأنَّها مهموسة خفيَّة لا صوت لها، فبدأ معجمه بالعين حتى انتهى الى حروف الشفتين،ثم حروف المد (الالف والواو والياء) وبعدها الهمزة.

وهكذا رتَّب الحروف تبعا لمخارجها،وسمى كل حرف من هذه الحروف كتابا.فبدأ المعجم بكتاب العين، فكتاب الحاء، فكتاب الهاء...إلخ. واتسع عنوان الكتاب الأول منه (كتاب العين) فشمل المعجم كله من باب التغليب.

وقد اعتمد في كل لفظة على أقصى حروفها مخرجا من دون مراعاة موضع الحرف في تلك اللفظة،سواء أكان في بدايتها أو في وسطها أو في آخرها،مثل لفظة (لعب) أوردها في كتاب العين لأن العين أقصى من اللام والباء مخرجا،ولا ترد في غيره.

ثانيا : الأبنية: اعتمد الخليل في ترتيب الألفاظ داخل الكُتُب التي حمل كلٌّ كتاب منها حرفا من حروف العربية بحسب الترتيب الصوتي،على أساس الأبنية،وهي عنده مُقسَّمة على خمسة أبواب: الثنائي المضاعف ، الثلاثي الصحيح ، الثلاثي المعتل ، اللفيف (المعتل بحرفين) ، الرباعي والخماسي.

رابعا: التقليبات: وهو الأساس الثالث الذي اعتمده الخليل في ترتيب الألفاظ داخل البناء الواحد، بغية إحصاء الفاظ اللغة بطريقة حسابية،وتحديد المستعمل والمهمل.فظهر لديه من الثنائي لفظان،ومن الثلاثي ستة ألفاظ،ومن الرباعي خمسة وعشرون لفظا،ومن الخماسي مئة وعشرون لفظا.ولهذا تشكَّل عنده نحو اثني عشر مليون مفردة،فأخرج منها المهمل وغير المستعمل،وأبقى على المستعمل. وبهذا استقصى تنقُّل كلِّ حرف من نظامه في كل بناء من هذه الأبنية،فرأى أن حرف "العين" مثلا يمكن أن يغير موضعه في البناء الثنائي مرتين (عب، و بع)، وإذا كانت "العين" في بناء ثلاثي وكان معها حرف "الدال" مثلا أمكن أن يأتي بستِّ صور: (عبد، بعد، بدع، عدب، دعب، دبع). وهكذا.

وقد سار بعض رواد التاليف المعجمي على نهج الخليل،واعتمدوا على الأسس التي اعتمدها في تأليف معجمه،فجاءت معجماتهم ضمن مدرسة الخليل في ترتيب المداخل، أمثال أبي علي القالي (٣٥٦هـ) في (البارع)، وأبي منصور الازهري (٣٧٠هـ) في (تهذيب اللغة)، والصاحب بن عباد (٣٨٥هـ) في (المحيط) ، وابن سيده (٤٥٨هـ) في (المحكم والمحيط الاعظم).

ولم يكن هؤلاء المعجميون مقلدين من دون تجديد،ولم يتبعوا الخليل في كل دقيقة من دقائق منهجه،بل خالفوه في بعض منهجه،وأضافوا إلى طريقته أشياء جديدة،وهذا الجديد الذي أضافوه أو المقصد الذي أرادوه،نتيجة تطور التأليف المعجمي الملحوظ بين البادئ المبتكر،والتابع المتأخر،ولكنهم لم يخرجوا عن الإطار العام لما اعتمده الخليل من أسس في الترتيب.

وفيما يأتي بيان لأهمّ ما تضمنته معجمات هذه المدرسة من اختلاف في الأسس الثلاثة التي اعتمدها الخليل:

١- "البارع" للقالي:

أ / ترتيب الحروف: رتَّب الحروف بحسب المخارج، كما فعل الخليل، ولكن مع تغيير طفيف. فكان الترتيب على النحو الآتي: هـ–ع–غ–ق–ك–ض–ج–ش–ل–ر–ن–ط–د–ت–ص–ز–س–ظ–ذ–ث–ف–ب–م–و–ا–ي–ء.

ب/ ترتيب الأبنية: حاول القالي أن يُحدث تغييرًا في الأبنية،فجعلها ستة، هي بالترتيب: أبواب الثنائي المضاعف (يسميه الثنائي في الخط والثلاثي في الحقيقة)،أبواب الثلاثي الصحيح،أبواب الثلاثي المعتل،أبواب الحواشي أو الأوشاب،أبواب الرباعي،أبواب الخماسي. أي أن القالي وضع باب الحواشي أو الأوشاب بدلا من اللفيف عند الخليل،وهو المعتل بحرفين،وهو اختلاف في التسمية فقط،وكذلك فصل القالي بين الرباعي والخماسي،فوضع كلًّا منهما في باب مستقل.

ج/ التقليبات: اتبع القالي منهج الخليل في تقليبات الكلمة بحسب بنائها،ولم يُحدث أدنى تغيير،سوى أنَّه صدَّر كلَّ تقليبٍ بكلمة (مقلوبه).

٢- "تهذيب اللغة" للأزهري:

كانت غاية الأزهري من تأليف معجمه هي تنقية اللغة من الشوائب التي تسربت إليها على يد سابقيه ومعاصريه،وهو ما نصَّ عليه في مقدمته بقوله: "وقد سميت كتابي هذا تهذيب اللغة لأني قصدت بما جمعت فيه نفي ما أُدخل في لغات العرب".

أمَّا منهجه في التأليف فقد اتبع المنهج الذي وضعه الخليل في مقدمة "العين" بحذافيره،من حيث ترتيب الحروف والأبنية والتقليبات.

٣- "المحيط في اللغة" للصاحب بن عبّاد:

ظهرت غاية ابن عباد من تأليف معجمه هذا في تسميته،وهي استيعاب المواد واستدراك ما أغفله غيره ممن سبقوه، وقد سار فيه على منهج الخليل في العين،سواء فيما يتعلق بترتيب الحروف مُقسمة على مخارجها الصوتية،أو بترتيب الأبواب داخل كل حرف.

٤- "المحكم والمحيط الأعظم" لابن سيده:

رمى ابن سيده في معجمه هذا إلى جمع المشتت من المواد اللغوية في الكتب والرسائل في كتاب واحد يغني عنها جميعها.وقد وافق فيه الخليلَ في ترتيب الحروف،ولكنَّه خالفه في ترتيب الأبواب،فهي عنده على النحو الآتي: الثنائي المضاعف الصحيح، الثلاثي الصحيح، الثنائي المضاعف المعتل، الثلاثي المعتل، الثلاثي اللفيف، الرباعي ، الخماسي.

نشكر حسن إصغائكم

أ.د. علي حلو حواس